مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(كولوسي ٣: ٤-١١)

يا إخوةُ متى ظهرَ المسيحُ الذي هو حياتنا فأنتم أيضاً تظهَرون حينئذٍ معهُ في المجد* فأَميتوا أعضاءَكم التي على الأرضِ الزنى والنجاسةَ والهوى والشهوةَ الرديئةَ والطمعَ الذي هو عبادةُ وثنٍ* لأنه لأجلِ هذه يأتي غضبُ الله على أبناءِ العصيان* وفي هذه أنتم أيضاً سلكتُم حيناً إذ كنتم عائشينَ فيها* أمّا الآن فأنتم أيضاً اطرَحوا الكلَّ الغضبَ والسُخْطَ والخُبْثَ والكلامَ القبيحَ من أفواهكم* ولا يكذبْ بعضُكم بعضاً بلِ اخلعوا الإنسانَ العتيقَ مع أعمالِه* والبَسوا الإنسانَ الجديدَ الذي يتجدَّدُ للمعرفةِ على صورة خالقه* حيثُ ليس يونانيٌّ

القديس مرقس الأفسسي

تعيّد كنيستنا المقدسة في التاسع عشر من شهر كانون الثاني للقديس مرقس الأفسسي، الذي ارتبط اسمه بالحفاظ على الإيمان والدفاع عنه في ظل الظروف الصعبة التي قد تواجه الكنيسة. فقد أدرك آباء الكنيسة المقدسة أن العقيدة الصحيحة هي أساس الحياة المسيحية، لأن العقيدة هي التعبير والتعليم الصحيحان عن إيماننا بالله، وقاعدة العقيدة هي الكتاب المقدس، أي كلمة الله المحيية التي من خلالها نلتقي بخالقنا وربّنا.

ولد القديس مرقس في كنف عائلة تقيّة في القسطنطينية حوالي العام ١٣٩٢م. درس على خيرة المعلّمين وكان لامعاً. في السادسة والعشرين من عمره ترك كل شيء وترهّب في دير صغير قرب نيقوميدية في آسيا الصغرى، لكنه انتقل إلى دير باسم القديس جاورجيوس في القسطنطينية بعدما اشتدّت وطأة الأتراك على تلك الناحية. هناك انصرف إلى حياة الصلاة وخدمة الإخوة ودراسة آباء الكنيسة، كما وضع عدداً من المؤلّفات العقائدية وكتباً عن الصلاة. علِمه وفضله لفتا الإمبراطور يوحنا الثامن باليولوغوس إليه. وكان الإمبراطور في صدد الإعداد لمجمع كبير بشأن الوحدة مع الكنيسة اللاتينية، آملاً في الحصول على دعم البابا وأمراء أوروبا في مواجهة الغزو التركي الآتي إلى العاصمة الإمبراطورية القسطنطينية. جُعل القديس مرقس أسقفاً على أفسس وضُمّ إلى الوفد البيزنطي ممثلاً بطاركة أورشليم وأنطاكية والإسكندرية. وكان في عداد الوفد البيزنطي الإمبراطور يوحنا والبطريرك المسكوني يوسف الثاني، بالإضافة إلى خمسة وعشرين أسقفاً.

لم يكن منطلق هذه الوحدة المنشودة إيمانيّاً بحتاً، بل كان سياسياً. هدفه الأول حماية الإمبراطورية البيزنطية من الأتراك، فكان موقف الوفد البيزنطي ضعيفاً، بالإضافة إلى ضغط الإمبراطور يوحنا على أعضاء وفده للوصول إلى إعلان وحدة بين الكنيسة الأرثوذكسية والكنيسة اللاتينية مهما كلّف الأمر. وقد عُقد المجمع أولاً

العدد ٣/٢٠١٤

الأحد ١٩ كانون الثاني

البار مكاريوس المصري

القديس أرسانيوس أسقف كركرة

القديس مرقس الأفسسي

اللحن الخامس

إنجيل السَحَر الثامن

ولا يـهـوديٌّ لا خـتـانٌ ولا قلفٌ لا بربريٌّ ولا إسكيثي لا عبدٌ ولا حرٌّ بلِ المسيحُ هو كلُّ شيءٍ وفي الجميع.

الإنجيل

(لوقا ١٧: ١٢–١٩)

في ذلك الزمان فيما يسوعُ داخـلٌ إلى قـريـةٍ استقبلهُ عَشْرَةُ رجالٍ بُرصٍ ووقفوا من بعيدٍ* ورفعوا أصواتَهم قائلين يا يسوعُ المعلّمُ ارحمنا. فلمّا رآهم قال لهم امْضوا وأروا الكهنةَ أنفسَكم. وفيما هم منطلِقون طَهُروا* وإنَّ واحداً لمّا رأى أنّهُ قد بَرِئَ رَجَعَ يُمَجّدُ اللهَ بصوتٍ عظيم* وخرّ على وجههِ عند قَدَمَيْهِ شاكراً لهُ وكان سامريّاً* فأجابَ يسوعُ وقالَ أليسَ العشْرَةُ قد طَهُروا فأين التِسعة* ألم يوجدْ مَن يرجعُ ليمجّدَ الله إلاّ هذا الأجنبيّ* وقال لهُ قُمْ وامضِ. إيمانُكَ قد خلَّصَكَ.

تأمل

«فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض الزنى

في مدينة فراري عام ١٤٣٨، ثم انتقل المجتمعون عام ١٤٣٩ إلى فلورنسا. إلا أن الوفد المقابل من الكنيسة اللاتينية وأمراء أوروبا استفادوا من موقف الوفد الأرثوذكسي الضعيف لفرض شروطهم. وبالرغم من عدم إيجاد قواسم مشتركة على الأقل في الأمور العقائدية التي طُرحت آنذاك، فقد توصّل المجتمعون إلى نصّ مشترك، تحت ضغط الإمبراطور يوحنا كما سبق وذكرنا، وافق عليه الجميع باستثناء القديس مرقس الأفسسي، لما فيه من مغالطات عقائدية تشوّه التعليم الأرثوذكسي الصحيح. وكتب شرحاً مفصّلاً لكل تلك المغالطات اللاهوتية العقائدية، مفنّداً إياها واحدة واحدة. تجدر الإشارة إلى أن البطريرك المسكوني يوسف، الذي كان حذراً من موضوع الوحدة ذاك، توفي قبل التوصّل إلى الاتفاق.

غير أن اتّفاق الوحدة هذا سقط بعد رجوع الوفد إلى القسطنطينية، لأن الشعب رفضه. كما عاد معظم أعضاء الوفد عن رأيهم. وقد قاد حملة الاعتراض هذه قدّيسنا مرقس الأفسسي، الذي اعتبر هذه الوحدة وحدة مزيّفة. كما أن الكنيسة اللاتينية وأمراء أوروبا لم يساعدوا القسطنطينية التي سقطت فيما بعد بيد الأتراك عام ١٤٥٣. رقد القديس مرقس في الرب عام ١٤٤٤.

إنطلاقاً من هذا الموقف الذي أخذه قديسنا، وواجه أكبر سلاطين العالم، لا بد لنا من الإشارة والتشديد على أن العقائد ليست مجرّد تحديدات فلسفيّة واستنتاجات عقليّة نستخدمها لإقناع الآخرين بصوابيّة تعليمنا، بل هي الحجارة التي نعبّد بها طريقنا نحو الله. وهي ليست وسيلة للمباحثات «الهذيانيّة»، فالهدف من العقائد هي أن تنقل لنا صورة الله الحقيقية، الله الذي أرسل لنا ابنه الوحيد ليخلّصنا من سلطة الموت علينا، كما منحنا روحه القدوس بواسطة ابنه الحبيب ليسكن فينا ويرشدنا إلى الرب يسوع المسيح، وعندما نلتقي الرب يسوع يعيدنا هو إلى أبيه السماوي.

إن الله لمحبّته للبشر أرسل ابنه الوحيد إلى العالم ليخلّص به العالم. وبتجسّده شابهنا الرب يسوع المسيح، ابن الله، بكل شيء ما خلا الخطيئة. بالإضافة إلى ذلك أرانا الطريق التي توصلنا إلى الله الآب، لكنه أظهر لنا أيضاً أن هذه الطريق ضيّقة ومليئة بالعوائق التي سبّبها تكبّر الإنسان وعدم قبوله للآخر. وبسبب هذا التكبّر حاول الإنسان أن يغيّر صورة خالقه إلى ما يناسبه، إلى صورة تناسب صورة ضعفه وتكبّره وحبّه لذاته.

إلا أن لربنا صورة مغايرة عن صورة أنانيتنا، فهو المحبّ والمتواضع المتسامح والرؤوف، لا بل وضع نفسه عنا نحن الخطأة، وتألّم وصُلب من حاسديه، مظهراً لنا بذلك أننا إذا شئنا أن نسلك في سبله تواجهنا صعوبات وربما آلام تدفعنا إلى الانكفاء عن متابعة حياتنا وفق وصايا الله. ولكننا إن قررنا المتابعة يمكننا أن نواجه سلاطين العالم كله مظهرين صورة الرب الحقيقية، التي نقلها إلينا الكتاب المقدس والآباء القديسون، والمرسومة في قلوبنا، غير عابئين بما قد نواجهه من تهديدات أو اضطهادات. لقد سلك ربنا يسوع المسيح هذا الدرب قبلنا، كما أن قديسيه ساروا على هذا الدرب

والـنـجـاسـة والـهـوى والشهوة الرديئة...».

كم هو سطحيّ ذاك الإنسان الذي يرى بيته على وشك السقوط، وعوض أن يرمّمه ويدعمه، يعتني بساحته! وكم هو جاهل أيضاً ذاك الذي يكون جسده مريضاً، وعوض الاهتمام بعلاجه، يجلس ويصنع له أثواباً فخمة!

هكذا نصنع نحن أيضاً بأنفسنا؛ فبينما هي مُثقلة بالأهواء، وتعاني من الغضب والغرور والرغبات الفاحشة وشرور كثيرة أخرى، لا نهتمّ بشفائها، بل في المقابل بماذا نهتمّ؟ بتمتّع الجسد بالحياة وبزينته.

الأهواء هي أسباب الاضطراب في عالمنا الداخلي؛ فهي تجعل أنفسنا تشبه مدينة تواجه هجوماً بربرياً، وتجلب الأهواءُ الحيرةَ إلى ذهننا وأفكارنا، كما يحدث عندما تدخل أفعى إلى عشٍّ فيه طيور حديثة الولادة، فتطير تلك الطيور إلى هنا وهناك مرتعدة من الخوف. لهذا أرجو منكم، أن نقيّد الوحوش، بل بالأحرى أن نخنقها ونذبحها ونميتها، ولنُبدْ كل شرّ موجود في داخلَنا بسيف الروح...

يوصينا الرسول بولس نفسه، والقديس مرقس الأفسسي مثال على ذلك، إذ واجه الإمبراطور ولم يعبأ بالوضع الذي كانوا يواجهونه في القسطنطينية، من تهديد الأتراك لهم والخوف من الاحتلال التركي للعاصمة.

ختاماً نورد بعض أقوال القديس مرقس عن الوحدة: «إننا نطلب ونصلي للعودة إلى ذلك الوقت حين كنا نقول الأشياء ذاتها ولم يكن بيننا انشقاق، لأننا كنا متّحدين». «يجب المحافظة على دستور الإيمان. وبما أن آباء الكنيسة القديسين والمجامع بالإضافة إلى كل الكتب المقدسة وضعونا حراساً ضد الهرطقات، فكيف لي أن أتجرأ، بالرغم من كل تلك السلطات، فأجاري أولئك الذين يحثّوننا إلى وحدة مزيّفة». «من المستحيل أن نصل إلى السلام من دون حلّ أسباب الانشقاق».

الطمع

الطمع هو الرغبة في الشيء واشتهاؤه، وقد نهت عنه الوصية العاشرة «لا تشتهِ بيت قريبك. لا تشتهِ امرأة قريبك ولا عبده ولا أَمَتَه ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً ممّا لقريبك» (خر ٢٠:١٧). وقد حذر ميخا النبي من الطمع قائلاً: «ويل للمفتكرين بالباطل والصانعين الشر على مضاجعهم. في نور الصباح يفعلونه لأنه في قدرة يدهم. فإنهم يشتهون الحقول ويغتصبونها والبيوت ويأخذونها» (ميخا ٢: ١-٢). ويُعلن العهد الجديد بكل وضوح أن الطمع هو عبادة أوثان «فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض: الزنا، النجاسة، الهوى، الشهوة الرديئة، الطمع الذي هو عبادة الأوثان» (كو ٣:٥)، «فإنكم تعلمون هذا أن كل زانٍ أو نجس أو طماع الذي هو عابد للأوثان ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله» (أف ٥:٥). ويقول الرب نفسه «أنظروا وتحفظوا من الطمع» (لو ١٢: ١٥)، كما أنه يذكر الطمع بين أشرّ الخطايا التي تخرج من قلب الإنسان الشرير «سرقة، طمع، خبث، مكر، عهارة، عين شريرة، تجديف، كبرياء، جهل. جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجّس الإنسان» (مر ٧: ٢٢).

كان الطمع هو ما رآه المسيح في الشاب الغني، إذ بعدما ذكر له الرب خمساً من الوصايا العشر، ذكر له مضمون الوصية العاشرة بالقول: «بع كل ما لك ووزع على الفقراء» (لو ١٨: ٢٢)، إذ لمس بذلك وتراً حساساً فيه، «فلما سمع ذلك حزن لأنه كان غنياً جداً» (لو ١٨: ٢٣). في المقابل نرى برنابا ينفّذ هذه الوصية «إذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل» (أع ٤: ٣٧).

يقول بولس الرسول في رسالته الأولى لتيموثاوس: «لأن محبة المال أصل لكل الشرور، الذي إذ إبتغاه قوم ضلّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة» (١ تيمو ٦:١٠)، ومحبة المال لا تنبع إلا من الطمع، هكذا يصبح الطمع أصلاً لكل الشرور، كما حدث مع حنانيا وسفيرة: «ورجل إسمه حنانيا وامرأته سفيرة باع مُلكاً واختلس من الثمن وامرأته لها خبر في ذلك وأتى بجزء ووضعه عند أرجل الرسل. فقال بطرس يا حنانيا لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس وتختلس من ثمن الحقل. أليس وهو باق كان يبقى لك. ولما بيع ألم يكن في سلطانك. فما بالك وضعت في قلبك هذا الأمر. أنت لم تكذب على الناس بل على الله. فلما سمع حنانيا هذا

أن نميت عنا كل ما يقود إلى الخطيئة. إذاً لنخمد الشهوة الشريرة ونخنق الغضب ولنُمت الحسد ونُبِدْ كل هوى. هذه هي «ذبيحة حية» (رو ١٢: ١)، ذبيحة لا تنتهي إلى رماد، ولا تتشتّت إلى دخان، ولا تحتاج ناراً وسكّيناً؛ فالنار والسكين معاً لهذه الذبيحة هو الروح القدس.

إستعمل أنتَ أيضاً سكّين الروح لكي تختن قلبك، قاطعاً ورامياً كل أمرٍ باطلٍ ومضرّ. إفتح أذنيك لكلام الله لأن الأهواء والشهوات الخاطئة لا تتركه يدخل فينا ويُثمر. لا يسمح لنا حبّ المال بأن نسمع كلمةً عن الرحمة، والحسد يمنعنا من سماع التعليم عن المحبة، وكل هوى يولّد عموماً عدم الرغبة في التعليم المفيد.

إذاً، لنُمت الرغبات الشريرة ولنتحرّر من الأهواء؛ إن أردنا هذا الأمر سنجاهد، وإن جاهدنا سنحصل عليه بنعمة الرب.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الكلام وقع ومات. وصار خوف عظيم على جميع الذين سمعوا بذلك. فنهض الأحداث ولفوه وحملوه خارجاً ودفنوه. ثم حدث بعد مدة نحو ثلاث ساعات أن امرأته دخلت وليس لها خبر ما جرى. فأجابها بطرس قولي لي أبهذا المقدار بعتما الحقل. فقالت نعم بها المقدار. فقال لها بطرس ما بالكما اتفقتما على تجربة روح الرب. هوذا أرجل الذين دفنوا رَجُلِك على الباب وسيحملونك خارجاً. فوقعت في الحال عند رجليه وماتت. فدخل الشباب ووجدوها ميتة فحملوها خارجاً ودفنوها بجانب رجلها. فصار خوف عظيم على جميع الكنيسة وعلى جميع الذين سمعوا بذلك» (أع ٥: ١–١١).

وقول يعقوب الرسول: «من أين الحروب والخصومات بينكم، أليست من هنا، من لذاتكم المحاربة في أعضائكم؟ تشتهون ولستم تمتلكون. تقتلون وتحسدون...تطلبون ولستم تأخذون لأنكم تطلبون رديا لكي تُنفقوا في لذاتكم (يع ٤: ١–٣)، فالطمع يدفع إلى الخصومات والحروب.

من الشروط الواجب توفرها في خادم الربّ (الإكليريكي) ألا يكون «طامعاً بالربح القبيح» (١ تيمو ٣: ٣–٨). لذلك يقول الرسول بولس عن نفسه: «اقبلونا، لم نظلم أحداً. لم نفسد أحداً. لم نطمع في أحد» (٢ كور ٧:٢). كما يقول: «هل طمعت فيكم بأحد من الذين أرسلتهم إليكم؟ طلبت إلى تيطس وأرسلت معه الأخ. هل طمع فيكم تيطس؟» (٢ كور ١٢: ١٧–١٨). ويوصي المؤمنين في تسالونيكي قائلاً: «أن يعرف كل واحد منكم أن يقتني إناءه بقداسة وكرامة. لا في هوى شهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله. أن لا يتطاول أحد ويطمع على أخيه في هذا الأمر لأن الله منتقم لهذه كلها» (١ تس ٤: ٤–٦).

قد يخفى الطمع تحت صور مختلفة مثل الميسر واليانصيب وما أشبه. فالدافع إلى كل هذا أساساً هو الطمع الذي يسعى للحصول على ما لا يملك أو يستحق.

وبينما يدين الكتاب المقدس إشتهاء الأمور المادية، فإنه يحث على السعي وراء الغنى الروحي، فيقول المرنم: «انسحقت نفسي شوقاً إلى أحكامك في كل حين» و«تاقت نفسي إلى خلاصك» (مز ١١٩: ٢٠و٨١)، ويقول أشعياء النبي: «إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس. بنفسي اشتهيتك في الليل» (اش ٢٦: ٨–٩). ويقول الرب يسوع: «إن أنبياء وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون» (متى ١٣: ١٧). ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين إن رجال الإيمان في العهد القديم كانوا «يبتغون وطناً أفضل أي سماوياً» (عبر ١١: ١٦). ويقول الرسول بولس: «لي إشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح. ذاك أفضل جداً» (في ١: ٢٣). ويحرّض الرسول بطرس المؤمنين قائلاً: «اشتهوا اللبن العقلي العديم الغش لكي تنموا به» (١ بط ٢:٢).

فلنبتعد إذاً عن الشهوات الأرضية، شهوة المال والسلطة والجاه والقنية والجنس، فذلك كله فانٍ ولا يجلب سوى الدينونة، ولنلتصق بالشهوات الحميدة كإشتهاء المسيح وطاعة أحكامه وحب الصلاة، فهذا باقٍ ونهايته الملكوت.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb